

الغياب المقصود للعراق في خطاب بايدن

بقادة لشعب أو سلطة إنما هم موظفون بشركة استثمارية لديهم عمولات تختفي صلاحيتها بانتهاء هذه السلطة، ولن يغفر جرائمهم شعب العراق الصابر.

أما الجهلة الموالون من صفوف هذا الصنف من كتبة ومعلقين في قنوات اتحاد التلفزيونات الإيرانية وحملة السلاح الموجّه لصدور العراقيين، فهؤلاء معززون مساكين همهم الوحيد التنعم بخير البلاد عبر الولاة المنتفذين. الصنف الثاني: عموم العراقيين المظلومين بحصار الإدارات الأميركية وبالإحتلال الغادر لهم منذ عام 1991 وإلى حد اليوم، والمحترقون بنار السلاح الأميركي وسلاح الميليشيات حاليا، والحرمان من العيش بكرامة وعدالة. مشاعر الخيبة تختم على هؤلاء الناس، لا يجنون في الولايات المتحدة مهما تبدل الرؤساء خيرا لهم. تلك العواطف والمشاعر هي الأكثر صدقا من غيرها.

الصنف الثالث: هم النخب الفكرية والثقافية الوطنية وعموم المدنيين من الناشطين في ثورة أكتوبر من خارج سلطة الإسلام السياسي الشيعي والسني، وأغلب هؤلاء لديهم رؤى سياسية معتمدة على قراءة ومتابعات ومعارف ميدانية بكيفية صناعة القرار السياسي الأميركي.

تعتقد هذه النخب، ونحن من بينها، بأن العراق أصبح منذ احتلال العام 2003 رهينة بيد إيران، وهو ضحية صفقة واشنطن وطهران التي لم تبطل مفاعيلها بل خفت خلال فترة حكم ترامب، وتتجدد حيويتها الآن في عهد بايدن.

من هنا يجمع فريق الوعي السياسي العراقي هذا على امتداد الرقعة الجغرافية داخل العراق وخارجه على ضرورة التعاطي بوعي غير متشجّع وبعيداً عن العاطفة مع سياسة بايدن تجاه الملف العراقي التي لم يعلنها في بيانه الرئاسي الأول، لكنه ترك مهمة بلورة موقف وقرارات سياسية جديدة بشأنها من معاونيه الدبلوماسيين وقادة السياسة والخبراء في إدارته، سواء كانوا من بين المتعاطفين في العودة إلى الاتفاق النووي مع إيران أو أولئك الذين سبق لهم أن اشتغلوا ببعثته في العقدين الأخيرين.

التصورات السياسية الحكيمة تقول بضرورة عدم التسرع في الحكم على سياسة بايدن استناداً إلى موروث علاقاته السابقة مع السياسيين الشيعية والكراد خلال العقدين الماضيين. فالتغيرات الجيوسياسية هي الحكم في القرارات السياسية، وبايدن قبل غيره يعلم هذه الحقائق، إن كان وفياً لمهنيته السياسية، حتى وإن فرح هؤلاء الساسة العراقيون باحتمال انعكاس ذلك الموروث على مواقف قد تتغيرهم اليوم.

من المفيد سياسياً أن بايدن لم يتعجل في إعلان موقفه أو إصدار قراراته بشأن الملف العراقي خلال خطابه الأول الأسبوع الماضي، لكن من المهم والمفيد أيضاً ألا تقتصر تقارير واستشارات معاونيه التي ستوضع على طاولة البيت الأبيض على طرف واحد هو الحاكم الآن في العراق، وما جناه حكمهم من انهيار للبلد كجَمْع عليه عالمياً وعراقياً.

يجب على هؤلاء المستشارين الاستماع إلى آراء الطرف المهم المعارض للسلطة الحاكمة من بين النخب السياسية العراقية المطاردة داخل العراق ومن بين الناشطين المدنيين وثور أكتوبر، وكذلك المقيمين في الخارج من الوطنيين السياسيين المعروفين بولائهم لوطنهم، حتى لو كانت لديهم تحفظاتهم السابقة على النفوذ الأميركي في العراق، لكن آراؤهم ستساعد على ولادة موقف متوازن.

سيستخدم العراق والمصالح الأميركية ويُعزل من سياستها التي خلقت كل هذه الفوضى والانهيار.

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

كانت سياسة الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب المزاجية وسعيه المتواصل إلى انتهاك دور المؤسسات العريقة في الولايات المتحدة الدولة الديمقراطية الأولى في العالم أهم عنصر لفوز جو بايدن بالبيت الأبيض.

ترامب هو الرئيس الثالث الذي يتعرّض للمحاكمة داخل الكونغرس بسبب تحريضه للغوغاء العنصريين على اقتحام مبنى الكونغرس في 6 يناير 2021، سبقه الرئيس نيكسون الذي استقال قبل عزله بسبب فضيحة ووترغيت عام 1974 المتعلقة بانتهاكات الأمن القومي الأميركي، وكذلك بيل كلينتون بسبب فضيحة مونيكا.

قبل بايدن كان العراق ميداناً لإظهار البطولة في شن الحرب والتدمير لأغراض الزعامة بالنسبة إلى ثلاثة رؤساء أميركيين خلال فترة رئاستهم: جورج بوش الأب في حرب تحرير الكويت عام 1991، وابنه بوش في حرب احتلال العراق عام 2003 على فرضية كاذبة، في حين حوّل الرئيس كلينتون أنظار أعضاء الكونغرس عن محاكمته بفضيحة مونيكا عام 1998 عبر توجيه ضربات صاروخية مدمرة إلى بغداد دون مبرر سوى حجة احتواء نظام صدام حسين، ثم ليصدر الكونغرس في ذلك العام قانون تحرير العراق لصالح المعارضة التي قادها أحمد الجلبي. أما باراك أوباما فاستفاد من قتله لأسامة بن لادن لتجديد رئاسته عام 2012.

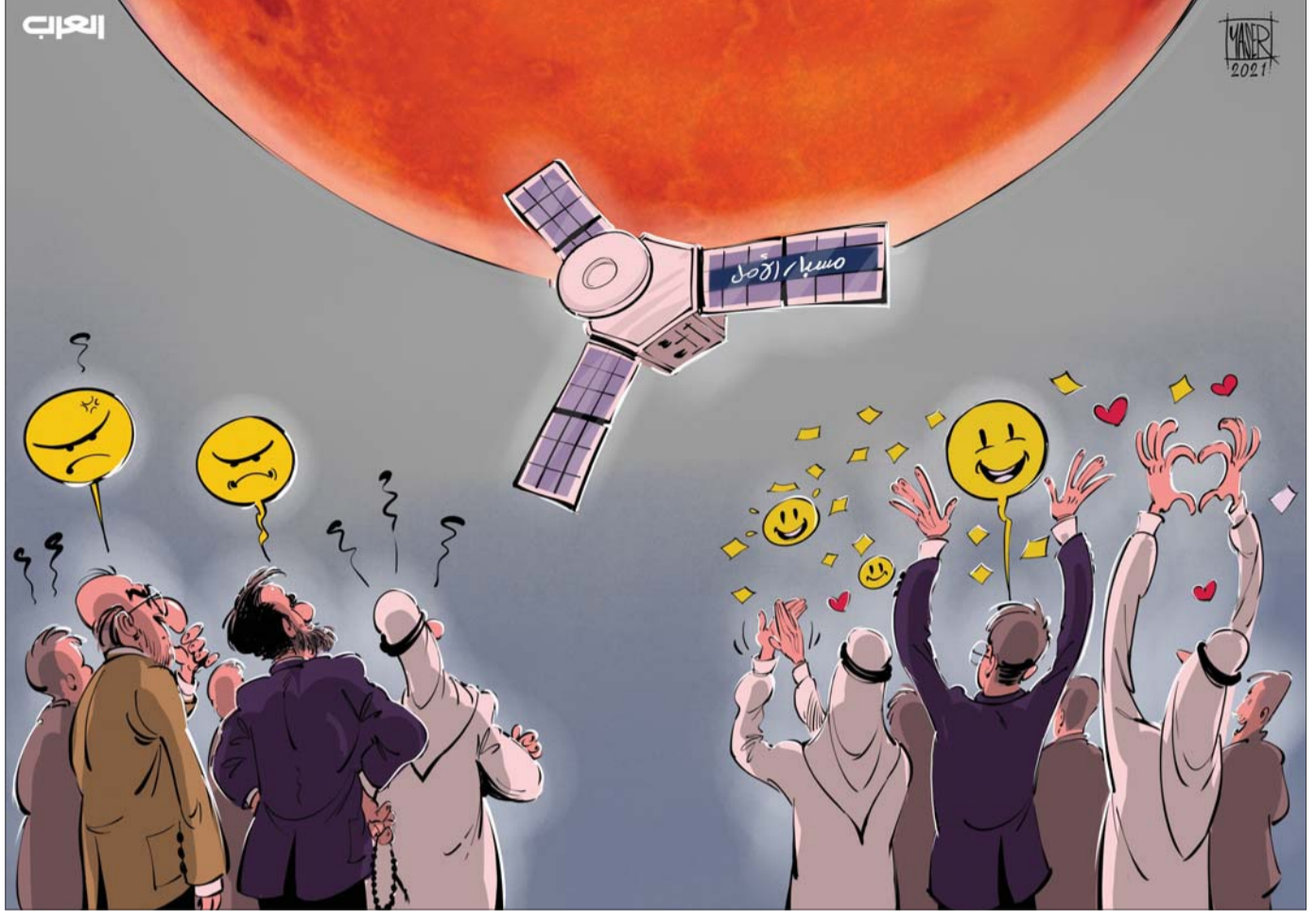
لا توجد متغيرات دراماتيكية في العلاقات الدولية لكن بايدن قدّم رسالة لتأخذ الولايات المتحدة مكانها في قيادة العالم من خلال الدبلوماسية الهادئة، رغم أن سلفه ترامب لم يشن حرباً بل سعى إلى سحب الجيوش من مناطق متعددة كالأفغانيا وأفغانستان والعراق، لكن ما ميّز سياسة ترامب هو خروجه من الاتفاق النووي وتنفيذ سياسة الضغط القوي ضد النظام الإيراني بتشدّد العقوبات، وهذا ما ربطها تلقائياً بالوضع في العراق كساحة صراع.

البلد العربي الذي اختاره بايدن هو اليمن كمناطق حرب إقليمية مركبة، فيها طرفان رئيسيان هما السعودية وحلفاؤها الخليجيون من جهة، وإيران ووكلاؤها الحوثيون من جهة أخرى. لا شك أن لواء واشنطن دوراً سياسياً هاماً في إنفائها، ليس بتعطيل المساعدات اللوجيستية للطرف السعودي والإماراتي، وإنما في سياسة وبرنامج يأتي عبر حوار مع الطرف العربي الداعم للشرعية اليمنية ووفق سياسة لا تساوي بين المحرض والمعتدي، بين القاتل والضحية، بين الشرعية وتقيضها.

غابت سوريا والعراق عن خطاب بايدن، مع أن في سوريا حرباً بالوكالة تقودها الميليشيات الإيرانية بالتعاون مع الرئيس بشار الأسد ضد الشعب السوري الأزل، وكان بايدن يريد إعادة الذاكرة لسياسة أوباما التي استدارت من خلالها عن "خطه الأحمر" الذي أعلنه كمشروع لتغيير نظام دمشق لصالح شعب سوريا المهجر والمظلوم منذ عشر سنوات.

لماذا غاب العراق عن خطاب بايدن، وكيف فسّر العراقيون سياسيون ونخب وناس من الشعب هذا الغياب المقصود؟ هناك ثلاثة أصناف من العراقيين تعاملوا مع تغييب بايدن للعراق في بيانه الدبلوماسي الأول. الصنف الأول: المغتبط الفرحة لعدم ذكر العراق، لأن واشنطن الجديدة قد سلمت العراق للولي الفقيه في طهران، وهذا الصنف جاهل أو مُسَيّر يمثله

قادة ورموز أحزاب شيعية السلطة وميليشياتها الولائية الذين حكم عليهم الزمان وأولياؤهم في طهران ألا ينطقوا بموقف أو رأي في شأن العراق إلا بتعليقات مهورة منهم. وهؤلاء ليسوا



جان عبيد يختزل جزءاً من مأساة لبنان

أفضل من ذلك الجسر الذي اسمه جان عبيد. أذى المطلوب منه. وعندما أصبح وزيراً للخارجية في العام 2003، عرف كيف يكون مغتلاً للبنان، كل لبنان، على الرغم من كل القيود التي كانت تفرضها الوصاية السورية وشخصية أميل لحود رئيس الجمهورية وقتذاك. بنى جان عبيد في تلك المرحلة علاقة في العمق مع الراحل الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي الذي كان شديد الحرص على لبنان بمسيحييه ومسلميه. وفي مرحلة لاحقة، تحول جان عبيد إلى أحد الموارنة الذين تؤيد المملكة وصولهم إلى موقع رئيس الجمهورية، انطلاقاً من مبدأ الاعتدال.

يغيب عن لبنان شخص ذكي ولماح كان يمكن لو وصل إلى موقع رئيس الجمهورية تفادي الكثير من الماسي. شخص يستطيع جعل موقع رئيس الجمهورية حكماً بين اللبنانيين بعيداً عن الجهل والحقد اللذين يميّزان العهد الحالي الذي على رأسه ميشال عون.

كان جان عبيد يعرف في الناس. كان يعرف من يصلح ومن لا يصلح. كان يعرف قبل كل شيء أن رئيس الجمهورية يجب أن يكون شخصاً مثقفاً ينادي بالافتتاح، أي أن رئيس الجمهورية يجب أن يكون شخصاً قادراً على التعاطي مع جميع اللبنانيين من كل الطوائف والمذاهب والمناطق والفئات الاجتماعية. في كل مرة وصل فيها إلى موقع وزاري، كان جان عبيد، الذي كان في أحيان كثيرة قريباً من رفيق الحريري، يبني. سارع عندما كان وزيراً للخارجية إلى الإفراج سريعاً عن التشكيلات الدبلوماسية بعدما بقيت في الأدرج بضع سنوات.

كان جان عبيد سيشرّف رئاسة الجمهورية. لم يكن ليحط من شأنها كما الحال الآن. يؤكد ذلك أنه عندما كان وزيراً للخارجية اللبنانية، اغتتم فرصة وجوده في هذا الموقع ليكون ناطقاً باسم لبنان وليس باسم هذا الوصي على العهد أو ذاك كما حصل لاحقاً... عندما تحول لبنان إلى صوت إيران في المجلس الوزاري لجامعة الدول العربية.

مع غياب جان عبيد، يترحّم المرء على رئاسة الجمهورية في لبنان. لكنه قد يأتي يوم قريب يترحّم فيه على لبنان الذي في طريقه إلى فراغ سياسي في ظل انهيار لكل المؤسسات على كل صعيد. فمن السهل في هذه الظروف استعادة الماضي واستعادة كيف أن اللبنانيين فوّتوا على أنفسهم على سبيل المثال، انتخاب نسيب لحود رئيساً للجمهورية. ما سيكون صعباً على المواطن اللبناني في مرحلة يبدو بلده مقبلاً عليها تتقلّب الواقع الجديد المتمثل في ضياع كل مؤسسات الدولة، بما في ذلك رئاسة الجمهورية.

عرفات وميشيل علقوا وآخرين. عندما كان يتكلم في موضوع ما كان يعرف ما يقوله. عرف حزب البعث عن قرب، لكنه تميّز عن معظم البعثيين، من بعثيين عراقيين وسوريين، بروح النبل والمحافظة على شخصية خاصة به أبعد ما تكون عن السطحية والانتهازية.

شخص ذكي ولماح يغيب عن لبنان كان يمكن لو وصل إلى موقع رئيس الجمهورية تفادي الكثير من الماسي، شخص يستطيع جعل موقع رئيس الجمهورية حكماً بين اللبنانيين بعيداً عن الجهل والحقد.

ليست السيرة الذاتية لجان عبيد سوى اختزال آخر لمأساة لبنان، وهي مأساة يتحمل المسيحيون الموارنة جانباً كبيراً من المسؤولية فيها، خصوصاً عندما قبلوا الدخول في لعبة الميليشيات المسلحة في سبعينات القرن الماضي. وهذه لعبة شجّع عليها رئيس الجمهورية الراحل سليمان فرنجية، الذي انتخب في العام 1970، والذي كان يفترض به أن يساهم باكراً في قطع الطريق عليها بدل تشجيعها.

استعان رئيسان هما إلياس سركيس وأمين الجميل بجان عبيد. أرادوا مدّ الجسور مع الآخرين. لم يكن

تتمك أهمية جان عبيد الذي غيَّبه وباء كورونا في تلك القدرة على الجمع بين التناقضات. هو ابن قرية صغيرة، قرب زغرتا في شمال لبنان، لا علاقة لها بالإقطاع السياسي. على الرغم من ذلك، فرض نفسه في الساحة السياسية اللبنانية وتحول منذ ما يزيد على نصف قرن إلى إحدى الشخصيات التي تمتلك مقعداً في الحياة السياسية اللبنانية، حتى قبل اندلاع الحرب الأهلية وحروب الآخرين على أرض لبنان في العام 1975. منذ ما بعد عهد الرئيس أمين الجميل في العام 1988، لم يغيب اسم جان عبيد عن لأئحة المرشحين لموقع رئيس الجمهورية. لم تخدمه الظروف في أي وقت. هذا يعود إلى استقلاليتها، على الرغم من الكلام الكثير عن قرينه من النظام السوري ومن الرئيس حافظ الأسد في مرحلة ما. انقذ حافظ الأسد جان عبيد عندما خطفته مجموعة تابعة لـ"حزب الله" في بيروت في العام 1987 واستقبله لاحقاً في دمشق لتأكيد مدى احترامه للعلاقة بالرجل وبعقله وحرصه عليها.

كانت للجلسة مع جان عبيد نكهة مختلفة بسبب غناها، خصوصاً في ضوء ما يمتلك من أخبار ونكريات وقدرة على الربط بين الماضي والحاضر بطريقة ذكية مشبعة بروح النكتة الساخرة.

كان يفعل ذلك في ضوء الخبرة الطويلة التي اكتسبها في معرفة المنطقة والشخصيات المهمة فيها، إضافة بالطبع إلى معرفته بلبنان وبشخصيات من اليمين واليسار والوسط، بما في ذلك كمال جنبلاط. كان يعرف مصر وسوريا والعراق والفلسطينيين. عرف صدام حسين وحافظ الأسد وياسر

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

سيفتقد لبنان، طويلاً، جان عبيد الذي غيَّبه الموت عن 82 عاماً. سيفتقد لسبب واحد على الأقل. لم يبق في البلد سوى عدد قليل من الشخصيات المارونية من طينة هذا السياسي اللبناني. شخصيات مثقفة تتمتع بالنبل والمعرفة واحترام الناس، وتعرف في الوقت ذاته لبنان والعالم العربي والعالم.

الأهم من ذلك كله، أن شخصيات تمتلك صفات من نوع تلك التي يمتلكها جان عبيد، أي الأخلاق، صارت أقرب إلى العملة النادرة. كانت الأخلاق في طليعة الصفات التي تحلّى بها جان عبيد. جعلت منه الدمعة المغروسة فيه شخصاً صادقاً وكرامياً في الوقت ذاته ومحدثاً لبناً معياً يعرف الدينيتين المسيحية والإسلامية في العمق ويعرف من عيون الشعر العربي، خصوصاً من شعر المتنبي، الكثير. كان مسيحياً مشرقياً عربياً وكان يعرف أن يكون صديقاً. مع جان عبيد كان للصدقة معنى آخر يميّزه النبل جمع فيه بين القدرة على الاحتفاظ بالقيم الرفيعة التي تربى عليها والتطور مع ثقافة المدينة، بما في ذلك الإناقة في اللبس، والتكيّف معها إلى أبعد حدود.

تلك القدرة على الجمع بين أفضل ما في القرية وأفضل ما في المدينة أبقّت جان عبيد، الرجل الأنيق، متمسكاً بالأرض. كانت هديته لأصدقائه بعض زيت الزيتون الآتي من إنتاج أرضه حين يحل موسم هذا الزيت...

